

ما الحكمة في الذبح^(١) ؟

من صاحب الإمضاء، بلوندره، أحمد زكي أبو شادي بمستشفى سانت جورج:

سيدي الاستاذ العزيز صاحب المنار . طلب إليّ أحد أصدقائي أن أنقل إليكم السؤال الآتي راجياً منكم أن تفضلوا بالإجابة عليه في « المنار » الأغر : ما هي الحكمة من الذبح ؟ اذا كان الغرض عدم تعذيب الحيوان فهناك طرق أوفق بكثير من الذبح الذي لا يخلو بلا شك من التعذيب حتى باستعمال أحد سكين ، دع عنك ان الذبح يؤدي الى تصفية أعضاء الجسم من الدم الذي هو مادة مفيدة للغذاء ومحتوية على الجزء الأكبر من الحديد .

لوندرة في ١٣ مايو سنة ١٩١٣ .

ج - ليس الذبح أمراً ابتدأ الإسلام بإجابه على أهله لحكمة فيه يطلبها او فائدة يكلف الناس الانتفاع بها ، وإنما جاء الإسلام والناس على عادات في أكل الحيوانات ، بعضها لا علاقة له بالدين وبعضها من تقاليد الخرافية ، فمنع القسم الأخير البتة وهو الذبح للانعام ونحوها وعلى النصب تعبداً وتديناً . وحرّم من القسم الأول ما يستخبت عند أصحاب الطباع السليمة ويستقدر ، وهو على مهانة أكله مظنة الضرر ، وهو الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير ، كما حرّم تعذيب

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٤٣٢ .

الحيوان بالوقذ وغيره ، وأمر بالرفق والإحسان به بقدر الطاقة ، وحرّم الموقوذة - التي تضرب بغير محدد حتى تنحل قواها وتموت - فجعلها من الميتة ، وكذا ما اعتاده بعض فقهاء العرب الممتنين من أكل فرائس السباع والنطائح وما يتردى في الوديان والحفر فيوجد ميتاً. إلا ما وقع من ذلك أمام أعينهم فأدر كوا فيه حياة فأزهقوا روحه بأيديهم ، فان أكله ليس فيه من مهانة النفس وضعفها وتعريضها للضرر ما في أكل ما يوجد منه في الفلوات والوديان متردياً او مفترساً مثلاً . ثم أباح لهم ما وراء ذلك مما لا مهانة فيه ولا مظنة ضرر ، وأقرّم على ما اعتادوا من أنواع تذكيته وصيده ، فكانوا ينحرون الحيوانات الكبيرة في لبته كالبعير والثور ويذبحون الصغير إذا قدروا عليه وإلا قتلوه بسهم او حربة ، وياً كلون ما صادوه بأيديهم ورماحهم وسهامهم ومعاريضهم وما صادته لهم الجوارح فجاءتهم به ميتاً . وتجد تفصيل ذلك في باب التفسير من هذا الجزء وما بعده^(١) ، مع النص باحلال الإسلام له كله .

٤٦٧

متى يحرم الوقاع^(٢) ؟

من صاحب الإمضاء محمد بصري الصولوي الجاوي المجاور بمكة المكرمة :

ما قولكم ، دام إرشادكم ، في قول العلامة الفاضل ، والقدوة الكامل ، الشيخ ابراهيم الباجوري رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، في حاشيته على شرح العلامة ابن قاسم الفزري المسمى بفتح القريب في باب محرمات النكاح (صحيفة ١١٣ من السطر ٢٠) ما نصه « أما التحريم غير الذاتي وهو العارض بسبب حيض ، او احرام او صوم ، او نحو ذلك ، ما المراد منه وما معناه ، فهل المراد ان الحائض

(١) المنارج ١٦ (١٩١٣) ص ٤٠١ - ٤٢٦ : وص ٤٨٦ - ٥٠٤ .

(٢) المنارج ١٦ (١٩١٣) ص ٥٢٠ .

او الصائفة يحرم نكاحها كما هو صريح كلامه أم لا ، وقد أومئ بعضهم أن المراد منه يحرم نكاحها حتى أفتى بذلك ، يتنوا لنا بياناً شافياً وافياً لأن المسئلة واقعة كل عام . مستمد الدعاء .

ج - المراد بالتحريم هنا تحريم الوقاع لا تحريم عقد النكاح ، والأمر ظاهر . ولذلك حذفنا ما أطلتم به في السؤال من مقابلة كتب الشافعية بعضها بعض .

٤٦٨

قصص القرآن وكتب العهد العتيق^(١)

س - كتب الينا الدكتور أخنوخ فانوس القسيس الانجيلي القبطي سؤالاً مطولاً يبين فيه مخالفة بعض قصص القرآن (كقصّة داود وطالوت) لما في أسفار العهد العتيق من تاريخ اليهود ، ويعدّ هذا شبهة على صحة ما جاء في القرآن العزيز .

ج - وجوابه بالايحاز ان القرآن منزل من عند الله تعالى ، وخبر الله تعالى أصح من أخبار مؤرخي اليهود سواء منها ما تسمى مقدساً لاشتماله على أخبار الأنبياء كسفر القضاة وسفر الأيام وما لم يسم مقدساً كتاريخ يوسيفوس . وإننا نرى أهل ملة السائل يمينون عما خالف العهد الجديد به كتب اليهود بأن كتبتة ما كانوا يلتزمون عبارات تلك الكتب بل روح معناها . أما نحن المسلمين فلا ثقة لنا بلفظها ولا بمعناها ، ولا مزية لها عندنا على غيرها من التواريخ القديمة ، والجديدة تفضلها ، ومع هذا نرى فيها كذباً كثيراً ، فهل يعارض بثملها كتاب الله المصوم ؟

(١) النارج ١٦ (١٩١٣) ص ٥٢٠

أسئلة من بلدة العطف (في القطر المصري) من أحمد علي الطباخ^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه :
إلى جناب ينبوع الفضائل ، ومتبوع الأفاضل ، الاستاذ الجليل السيد محمد
رشيد رضا مد الله في مدته ! السلام عليكم ورحمة الله .

أما بعد فإني سائلكم ، لا عدمكم المسلمون ، عن أمور اشتدت الحاجة إليها
نتمس إجابتنا عنها بتماركم الأنور ولكم من الله تعالى الجزاء الأوفر .

س ١ - فنسألکم عن آلات الملاهي من طبول ومزامير وذوات أوتار
وفونوغراف هل فيها قول يجوز تقليده ؟ فإننا نجد في بعض كتب المالكية وبعض
رسائل كرسالة الشيخ النابلسي وكرسالة للأمير المالكي ذكر قول بالجواز مع
إيراد ما يشمر بجواز العمل به .

س ٢ - وهل يعول على ما يذكره بعض الأئمة من ان من قال كذا شعراً نال
كذا أجراً ، كقول الشعراني : من قال عقب كل صلاة جمعة :

إلهي لست للفردوس أهلاً ولا أقوى على نار الجحيم
فهب لي توبة وأغفر ذنوبي فأنتك غافر الذنب العظيم

خمس مرات توفي مؤمناً بلا شك . نقله عنه الباجوري في حاشيته على أبي
شجاع الشافعي ؟ فإن قلت : نعم . فما مستند ذلك ومثله إنما يؤخذ عن الشارع ،
ولم ينقل عنه فيما أعلم انه وعد على شعر بأجر خاص ؟ وان قلت لا ، فكيف
استجاز الأئمة ذكر ذلك مع ان منهم المجمع على جلالته كالسيوطي فقد أورد
من هذا شيئاً في كتاب الأرج في الفرج ؟

س ٣ - هل يجوز لبس شيء شك في انه حرير دودة او حرير زراعة؟ وهل
من علامة تميز بينها او يرجع في ذلك لذوي الخبرة بهذا الشأن ؟

(١) المنارج ١٦ (١٩١٣) ص ٥٨٣ - ٥٨٤ .

س ٤ - هل يحرم شرب الدخان في مجلس القرآن ؟ ان قلت : نعم ، فهل هو إجماعي أو ثم قول يجوز تقليده بالحل ؟ وهل ضابط المجلس العرف أو ما هو ؟ فإن القراء قد يختصون بنحو دكة والسامعون معهم في نحو خيمة واحدة على ذلك أخرى فيشرب البعض تعلقاً بأن المجلس إنما هو محل القارئ والعرف يأبي ذلك ، وما دليل تحريم الشرب المذكور مع حدوث الدخان بعد زمن النبوة ؟ نلتمس الإجابة عن ذلك لا برحتم ملجأً للسائلين المبتغين سواء السبيل آمين .

٤٦٩

سماح آلات الطرب^(١)

ج ١ - بيتنا في الجزأين الأول والثاني من مجلد المنار التاسع^(٢) خلاف العلماء في سماح آلات الطرب وأدلة من حظرها وأدلة من أباحها والترجيح بينها ، فلم من ذلك أن سماحها مباح لذاته ، وقد يعرض له الحظر إذا ترتب على السماع معصية ، فليرجع السائل الى ما نشرناه هنالك عسى أن يعرف الحق في المسألة بدليله .

٤٧٠

الثواب المعين على إنشاد شعر معين^(٣)

ج ٢ - ما ذكر في السؤال شيء لا دليل له من أدلة الشرع فلا يعول عليه ولا يلتفت إلى ناقله كائنًا من كان ، ولا يقبل كلام أحد في ثواب الآخرة وعقابها إلا بدليل عن الله تعالى ورسوله ﷺ ، وان الشعراني الذي نقل عنه الباجوري ذلك القول في البيتين ليس من الأئمة المجتهدين ، ومن اتفق الناس على إمامتهم في فقه الدين ليس كلامهم حجة ولا شرعاً بالإجماع ، وإنما معنى إمامتهم أن لهم مسالك في

(١) المنارج ١٦ (١٩١٣) ص ٥٨٤ . انظر أعلاه فترى رقم ١٨٥ .

(٢) وردت « العاشر » في المنار ، وهو خطأ .

(٣) المنارج ١٦ (١٩١٣) ص ٥٨٤ .

فهم النصوص والاستنباط منها وترجيح متعارضها قد استفاد منها الناس وتبعوهم فيها وهي التي سميت مذاهب .

٤٧١

لبس المشكوك فيه هل هو حرير أم لا^(١)

ج ٣ - من شك في ثوب هل هو حرير محرم أم لا يجوز له أن يلبسه لأن الحرمة لا تثبت بالشك، والاحتياط أن لا يلبسه حتى يراجع أهل المعرفة ويخرج من الشك الى اليقين . والعبرة في مثل هذا بأهل الخبرة الذين يوثق بمعرفةهم .

٤٧٢

شرب الدخان في مجلس القرآن وحكم شربه^(٢)

ج ٤ - قد سبق لنا افتاء عن هذا السؤال . ونقول الآن بالإيجاز : تعظم القرآن واحترامه واجب قطعاً، وإهانتة محرمة قطعاً بل يكفر متعمدها والعمدة في ذلك القصد ويجب فيه مراعاة العرف . والأصل في الدخان الحل إلا إذا كان ضاراً ، إذ يحرم تناول كل ضار بالاجماع .

٤٧٣

الحلف بالرسول والحلف بغير الله^(٣)

من صاحب الإمضاء بمصر علي يوسف الحامي بمصر (ورد من عدة سنين وتسي) حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة المنار سأل سائل

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٤٨٤ .

(٢) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٥٨٤ - ٥٨٥ .

(٣) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٥٨٥ - ٥٨٦ .

الحلف بغير الله تعالى فقال قوم يجوز الحلف برسوله ﷺ فأنكرت ذلك لعدم مشروعيته ، فنسب آخر للنار تقرير جواز الحلف بغير الله تعالى من نبي وولي . فأسأل من فضيلتكم بيان الحق بهذه المسألة على صفحات النار بدون احالة على أعداد سابقة خدمة للدين المبين واقبلوا في الختام سلام واحترام .

حاشية - وأرجو بيان حكم الحلف بغير الله تعالى .

ج - صح في الأحاديث المتفق عليها ان النبي ﷺ نهى عن الحلف بغير الله ، ونقل الحافظ ابن عبد البر الإجماع على عدم جوازه . قال بعضهم : أراد بعدم الجواز ما يشمل التحريم والكرهة فان بعض العلماء قال : إن النهي للتحريم وبعضهم قال إنه للكرهة . وبعضهم فصل فقالوا : إذا تضمن الحلف تعظيم المحلوف به كما يعظم الله تعالى كان حراماً وإلا كان مكروهاً . أقول : وكان الأظهر أن يقال ان المحرم أن يحلف بغير الله تعالى حلفاً يلتزم به فعل ما حلف عليه والبر به ، لأن الشرع جعل هذا الالتزام خاصاً بالحلف به أي بأسمائه وصفاته ، فمن خالفه كان شاعراً لشيء لم يأذن به الله . وهذا يفرق بين اليمين الحقيقي وبين ما يحوي بصيغة القسم من تأكيد الكلام وهو من أساليب اللغة . وقد قالوا بمثل هذه التفرقة في الجواب عن قول النبي ﷺ للأعرابي « أفلح وأبيه إن صدق » فقد ذكروا له عدة أجوبة منها نحو ما ذكرناه ، قال البيهقي : إن ذلك كان يقع من العرب ويحري على ألسنتهم من دون قصد للقسم ، والنهي إنما ورد في حق من قصد حقيقة الحلف . قال النووي في هذا الجواب : إنه هو الجواب المرضي . وأجاب بعضهم بقوله إن القسم كان يحري في كلامهم على وجهين للتعظيم وللتأكيد ، والنهي إنما وقع عن الأول . وأقول إن هذا عندي بمعنى قول البيهقي . وقيل إنه نسخ ، وقيل إنه خصوصية للنبي ﷺ وقد ردوهما . والظاهر ان ما كان من حلف قريش بأبائهم كان يقصد به التعظيم والالتزام ما حلف عليه ، ولذلك كان من أسباب النهي وإلا فلأنهم مشركون غالباً . روى أحمد والشيخان في صحيحهما عن ابن عمر ان النبي ﷺ سمع عمر وهو يحلف بأبيه فقال : « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو بصمت » . وفي

لفظ « من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله » فكانت قريش تحلف بأبائها فقال :
 لاتحلفوا بأبائكم ، رواه مسلم والنسائي . وروى الشيخان عنه أيضاً « من
 كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله » رفعه الى النبي ﷺ وهو حصر ، وفي معناه
 حديث أبي هريرة عند أبي داود والنسائي وابن حبان والبيهقي مرفوعاً « لا تحلفوا
 إلا بالله ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون » .

فهذه الأحاديث الصحيحة ولا سيما ما ورد بصيغة الحصر منها صريحة في
 حظر الحلف بغير الله تعالى ، ويدخل النبي ﷺ في عموم « غير الله تعالى » ،
 والكعبة وسائر ما هو معظم شرعاً تعظيماً يليق به ولا يجوز أن يعظم شيء كما
 يعظم الله عز وجل ، ولا سيما التعظيم الذي يترتب عليه أحكام شرعية ، ولقد
 كان غلو الناس في أنبيائهم والصالحين منهم سبباً لهدم الدين من أساسه وإستبدال
 الوثنية به . ونسأل الله الاعتدال في جميع الأقوال والأفعال .

٤٧٤

ترك العمل يوم الجمعة^(١)

من صاحب الامضاء بمصر احمد حدي التجار .

سيدي العلامة المفضل السيد محمد رشيد افندي رضا حفظه الله . ربما علمتم
 بركة تجار دمشق واتفاقهم على اغلاق حوانيتهم ومحلاتهم في كل يوم جمعة ، ولكن
 هذا لم يرق لبعض المشاغبين كالشيخ عبد القادر الخطيب المعلوم عند سيادتكم
 وامثاله ، فتكلموا مع الوالي بعدم صلاحية ذلك وإجبار التجار على الشغل في ذلك
 اليوم ، فطلب الوالي بعضاً من التجار وخاطبهم بهذا الشأن استحساناً لاجراً فما
 قبلوا . فلما رأى الشيخ عبد القادر الخطيب الموما اليه ان سميه لدى الوالي لم يفده
 بشيء ، خطب في الجامع الاموي وقال إنه لا يجوز الاغلاق في يوم الجمعة ، واستدل
 بقول الخفاجي على انه تشبه باليهود والنصارى ، وأورد الآية الكريمة الواردة بحق
 يوم الجمعة وانه لطلب الرزق الى آخر ما املاه عليه ضميره . فالسألة اخذت

(١) المنارج ١٦ (١٩١٣) ص ٥٨٦ - ٥٨٧ .

دوراً مهماً في دمشق لذلك كتب الي جماعة من التجار يطلبون ان اعرض هذا الامر لفضيلتكم ونقدم لهم النصوص الواردة في يوم الجمعة ومن علماء المذاهب الاربع في الازهر ونرد اليهم ذلك حالاً . فلذا لكوني اعتبرت واعتادت الأمة الإسلامية الاستشارة بعميم فضلكم ارجوكم التفصيل بكتابة ما ورد بحق يوم الجمعة . وسبق منذ ثلاثة سنين سألت فضيلتكم مثل هذا السؤال من السودان واجبتم عليه في المنار وبه عمل ، فادام الباري فضيلتكم سيدي .

ج - سبق للمنار بيان هذه المسألة وفصلنا القول فيما ورد في يوم الجمعة في مقالات (المسنون والقبط) التي جردت من المنار وطبعت في رسالة على حدتها فيمكنكم إرسال نسخة منها أو أكثر إلى من كلفوكم أن تسألونا عن النصوص الواردة في يوم الجمعة . هذا وان قول الشيخ عبد القادر الخطيب إنه لا يجوز إغلاق المحلات التجارية يوم الجمعة - ان صح عنه غريب جداً - لا من حيث أنه اجتهاد منه وهو يحرم الاجتهاد في هذا العصر، فإن هذا ديدن جميع الذين يلقطون بالإنكار على المصلحين الذين يدعون الناس الى الاهتداء بالكتاب والسنة يزعمون أن هذا الاهتداء يستلزم الاجتهاد الذي أغلق أمثالهم بابه بالقول ، فهم ينكرون الاجتهاد قولاً ثم نراهم يجرمون على الناس بأهوائهم ما أحله الله لهم ويستدلون على ذلك بما لا يدل عليه من الآيات والأحاديث ، وهو عين ما ينكرون من الاجتهاد . والاهتداء بالكتاب والسنة الذي يدعو اليه المصلحون لا يستلزم مثل ذلك فإنه قد يكون مع الاستعانة على فهمها بكلام ثقات المفسرين والمحدثين .

فإذا كان من يدعي تحريم إغلاق المحلات التجارية يوم الجمعة أو كراهته شرعاً مقلداً لأحد الأئمة فليأتنا بنص من كلامه أو نقل ثقات أصحابه المدونين لمذهبه في ذلك، وإن كان مجتهداً فلكل أحد أن يسأله عن دليله . وفي السؤال انه استدل على ذلك بقول الخفاجي أنه تشبه باليهود والنصارى وهذا غير صحيح بل هو مخالفة لهم ، لأن اليهود يتركون العمل يوم السبت وخالفهم النصارى فتركوا العمل يوم الأحد ، فلو قال فيمن يتركون العمل يوم الأحد من المسلمين في بلاد مصر وبيروت أنهم تشبهوا بالنصارى لكان له وجه . وأما من يتركون العمل

يوم الجمعة فلا وجه لدعوى أنهم متشبهون بهم إلا إذا صح الاستدلال بالشيء على ضده . فان تشبه الإنسان بقوم إنما هو أن يفعل مثل فعلهم بحيث يشبه حاله بحالهم فيظن من لا يعرفه أنه منهم . ولا يقول عالم ولا عاقل أن التشبه بأجناس العمل العامة يكون محل بحث ، وإلا لكان من مقتضى عموم التشبه أن تترك كل أعمال العمران التي سبقونا إليها من فنون وضروب الصناعة والزراعة والتجارة . وقد فصلنا مسألة تشبه المسلمين بغيرهم غير مرة ومن أوسعها بياننا الفتوى ٦٩ من المجلد الرابع عشر^(١) فليراجعها من شاء .

أسئلة من البحرين^(٢)

« عن حكم الحج وترك الملوك والامراء وبعض العلماء له »

لصاحب الامضاء بحزيرة البحرين ناصر مبارك الخيري .

بسم الله الرحمن الرحيم . الى حضرة سيدي العلامة المصلح العليم مرشد الامة ورشيدها الفيلسوف الحكيم السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار المنير ادام الله تعالى شريف وجوده وسلام الله عليك ورحمته ورضوانه . وبعد فالداعي لتحريره عرض مسألة عرضت لنا في هذه الأيام وهو اننا عشرة أشخاص نوينا هذه السنة التوجه لحج بيت الله الحرام ، والتمتع بمشاهدة مهد الاسلام ، وبهذه المناسبة صار بيننا جدال وكلام كثير بخصوص الحج ومناسكه فألجئنا الى طلب الاستهداء من حضرتكم لارشادنا إلى السبيل الأقوم والصراط المستقيم ، فعليه قدمنا هذا الكتاب مؤملين فيه الجواب من حضرتكم على هذه الأسئلة وهي : علمنا ان الله سبحانه وتعالى قد اختار لنا الاسلام ديناً وجعل هذا الدين مقاماً على خمسة أركان رئيسية وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة،

(١) المنار ج ١٤ (١٩١١) ص ٩٠٧ - ٩١١ . انظر اعلاه فتوى رقم ٢١ ؛

(٢) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٦٧٥ - ٦٧٧ .

وايتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج إلى بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلا .
هذه هي الخمسة الأركان التي لا يكمل الاسلام إلا بها - وبفضل المنار المتير وبأقي
كتب العلماء المصلحين الأفاضل قد فهمنا المقاصد والحكم من الصلوات والزكاة
والشهادتين والصيام كما قد فهمنا المقصد من الحج على الوجه العام ، ولكن اسبح
لنا يا حضرة المفضال الحكيم ان نقول ان في الحج بعض أعمال لم نعرف الحكمة
منها فلذلك جئنا بهذا الكتاب نلتمس منك هدايتنا إلى ما جهلناه وهو :

١ - ما هي الحكمة في الاجتماع على تقبيل الحجر الاسود اذ عرفنا انه حجر
عادي لا يضر ولا ينفع ولا يخفى ما في ذلك من المظاهرة الوثنية . ؟

٢ - ما الحكمة في رمي الحجارة (الجمار) في القلب (؟) في (مزدلفة)؟

٣ - ما الحكمة في الهرولة بين المروتين ؟

٤ - ما المقصد في ذبح الذبائح على كثرتها ودفن لحومها في (منى) وفي ذلك
ما فيه من النتائج الوخيمة التي تصدر من تعفن اللحوم إذ تنتشر الأوبئة منها ،
ولماذا يمنع الناس من أكلها ؟ وهل ذلك لازم ومن المناسك التي لا يتم الحج إلا بها
على هذه الصورة ؟ ولا يخفياكم مبلغ النقود الطائلة التي يدفعها الحجاج سنويا ثمنا
لهذه اللحوم إذ هي لا تقل عن خمسين ألف جنيه فما قولكم لو صرفوا هذه المبالغ
على إصلاح آبار مكة وطرقها وتكديها وتنظيفها وعلى كل ما يعود على الحجاج
بالراحة والصحة والسلامة .

٥ - لماذا أقاموا دون عرفه بنائين عن اليمين والشمال تعرف بالعلمين وكل
من لم يكن خلف هذين البنائين ليس مقبول الحج مع أنه تكلف العناء ووصل إلى
ما دونها ؟ ولماذا يكون من خلفها مقبول الحج وهو في لهوه ولعبه وممارسة ما
اعتاده في بلاده من الأعمال ؟ ومن كان دونها غير مقبول ولو كان على غير ذلك ؟
وهل هذان البناءان حدًا فاصل بين الله والناس أو بين الجنة والنار .

٦ - نرى كثيرا من علماء الأمة الإسلامية ومرشديها المصلحين منهم من

عاش ومات وهو لم يحج، مع أنه ربما رحل في سنته مرتين أو ثلاثاً الى أوروبا أو إلى غيرها من البلاد ولم يذهب الى مكة مع أنه كان الألف والآخر أن يقصد مكة والحج كل موسم للنصح والإرشاد . فهذا ساكن الجنان الأستاذ الإمام والمرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي وغيرهم عاشوا وماتوا وهم لم يروا مكة في وقت الحج . وحضرتك أيضاً كذلك . فما هي الأسباب يا ترى؟ ونحن نعتقد ان امتناعكم جميعاً عن الحج لا بد له من سبب ، فما هو ذلك السبب العظيم الذي يمنع رجال الإصلاح العظام عن الحج المقدس ؟

٧ - وكذلك نرى ان جميع ملوك الاسلام وأمراءه وأغنياءه لا يحجون ولا نرى الحجاج سواهم إلا من فقراء الهند والصين والروسيا وجاوا وبلاد العرب ك مصر وقونس وسوريا والعراق وغيرها . وهذا كثير من سلاطين آل عثمان (الخلفاء) وأمراء البيت السلطاني وأعظم الرجال من الوزراء والحكام والأغنياء المشار إليهم بالبنان كلهم لا يحجون ولا يدور في خلد أحدهم أن يحج ، فما هو السر في ذلك يا ترى . وكم عجبنا لما سمعنا بحج أمير مصر قبل سنتين وكثر تحدث الناس في ذلك حتى تجرأ أحدهم فقال : ان المقصود من حج العزيز غرض سياسي ورحلة في جهات الحجاز لا غير وليس له مقصد في الحج قطعاً . هذا ما وجهناه لحضرتكم ملتصين التنازل بجوابتنا عليه ولك يا سيدنا الخيار في المجازبة ان تكون على صفحات المنار أو كتاب مخصوص . واذ كانت في المنار تكون أعم وأنفع . وان أردت أن تجاوب على بعضها في المنار وبعضها كتابة مخصوصة فالأمر اليك ، ونحن قد اتكلنا بعد الله عليك ، ولنا كبير الأمل ان حضرتك تهدينا الى سواء السبيل لا سيما وحجنا يتوقف على جوابكم لأنه لا يخفك اننا نقصد الحج نطلب الأجر والغفران ، لا الإثم والخسران ، فامط لنا بما أعطاك الله من سعة العلم نقاب الباطل عن وجه الحقيقة أدامك الله سراجاً يتندي به من ضل عن محجة الصواب والسلام عليك .

٤ شعبان سنة ١٣٣١ الى مصر القاهرة

أجوبة المنار : قد سبق لنا القول في مجلدات المنار السابقة عن حكم الحج

جملة وتفصيلا ، والانتقاد على ملوك المسلمين وأمراءهم أنهم تركوا هذه الفريضة ، وعذر الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في تأخير هذه الفريضة الى أن وافاه أمر ربه وكون عذرنا عين عذره . وما نظن ان السائل واصحابه الذين أشار اليهم قد علقوا حججهم على جواب هذه الاسئلة، ولعله قال ذلك لنبادر الى الجواب عنها ، وما نحن أولاء نبادر الى ذلك، وإن كان لدينا كثير من الاسئلة مقدمة عليها في التاريخ .

٤٧٥

حكمة تقبيل الحجر الاسود^(١)

ج ١ - ما ذكره السائل في تقبيل الحجر الاسود قد سرى اليه من شبهات النصارى والملاحدة الذين يشككون المسلمين في دينهم بأمثال هذا الكلام المبني على جهل قائله من جهة وسوء نيتهم في الغالب من جهة أخرى. ومن عرف معنى العبادة يقطع بأن المسلمين لا يعبدون الحجر الاسود ولا الكعبة ولكن يعبدون الله تعالى وحده باتباع ما شرعه فيها . بل كان تكريم الله تعالى لبيته ان صرف مشركي العرب وغيرهم من الوثنيين والكتابين الذين كانوا يعظّمونه قبل الاسلام عن عبادته . وقد وضعوا فيه الاصنام وعبدوها فيه ولم يعبدوه . ذلك ان عبادة الشيء عبارة عن اعتقاد ان له سلطة غيبية يترتب عليها الرجاء بنفعه لمن يعبده أو دفع الضرر عنه ، والخوف من ضره لمن لا يعبده أو يقصر في تعظيمه ، سواء كانت هذه السلطة ذاتية لذلك الشيء المعبود فيستقل بالنفع والضرر أو كانت غير ذاتية له بأن يعتقد انه واسطة بين من لجأ اليه وبين المعبود السذي له السلطة الذاتية. ولا يوجد أحد من المسلمين يعتقد ان الحجر الاسود ينفع أو يضر بسلطة ذاتية له ، ولا أن سلطته تقرب من يعبده ويلجأ اليه الى الله تعالى ، ولا

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٦٧٧ - ٦٨١ .

كانت العرب في الجاهلية تعتقد ذلك وتقول في الحجر كما تقول في أصنامهم ، وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله رضى ، هؤلاء شعاعون عند الله ، وانما عقيدة المسلمين في الحجر هي ما صرح به عمر بن الخطاب (رض) عند تقبيله ، قال «إني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا اني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك » رواه الجماعة كلهم - أحمد والشيخان وأصحاب السنن . وقد بينا في المنار من قبل ان هذا القول روي أيضاً عن أبي بكر (رض) ، وروي مرفوعاً الى النبي ﷺ ، وان أثر عمر كان العمدة في هذا الباب للاتفاق على صحة سنده . قال الطبري : إنما قال عمر ذلك (أي مع انه معلوم من الدين بالضرورة) لان الناس كانوا حديسي عهد بعبادة الاصنام فخشي ان يظن الجهال أن استلام الحجر الاسود من باب تعظيم الاحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية ، فاراد ان يعلم الناس ان استلامه اتباع لفعل رسول الله ﷺ لا لأن الحجر يضر وينفع بذاته ا هـ .

فان قلت روى الحاكم عن ابي سعيد الخدري ان عمر لما قال له علي بن ابي طالب كرم الله وجهه : انه يضر وينفع ، وبين ذلك بأن الله لما أخذ الميثاق على ولد آدم كتب ذلك في رق وألقمه الحجر ، وانه سمع النبي ﷺ يقول « يأتي يوم القيامة وله لسان ذلق يشهد لمن استلمه بالتوحيد » فالجواب ان هذا الحديث باطل ، انفرد بروايته عن ابي سعيد ابو هارون عمارة بن جوين العبدي ، واهون ما قيل فيه انه ضعيف ، وكذبه حماد بن زيد ، وقال يحيى بن معين : ضعيف في حديثه ، وقال الجوزجاني : ابو هارون كذاب مفتر ، وقال ابن حبان : يروي عن ابي سعيد ما ليس من حديثه ، وقال شعبة : كنت أتلقى الركبان أسأل عن ابي هارون العبدي فقدم فرأيت عنده كتاباً فيه اشياء منكورة في علي (رض) ، فقلت ما هذا الكتاب ؟ قال : هذا الكتاب حق ، وقال شعبة أيضاً : أتيت ابا هارون فقلت له اخرج الي ما سمعته من ابي سعيد ، فأخرج الي كتاباً فاذا فيه : حدثنا ابو سعيد ان عثمان ادخل في حفرة ، وانه لكافر بالله . فدفعت الكتاب في يده

(١) سورة الزمر رقم ٣٩ الآية ٣ - .

وقمت . وأقول إن طعنه في كل من الصهرين الكريمين يفسر لنا قول الدارقطني فيه «يتلون خارجي: وشيعي». والذي يظهر لي من كلامهم هذا انه كان منافقا . فان قيل يقوي حديثه هذا حديث ابن عباس عند احمد والترمذي وغيرهما. قلت ليس في حديث ابن عباس انه ينفع ويضر، وانما فيه انه يشهد لمن استلمه بحق، فاذا صحت هذه الشهادة مها كانت كيفيتها في عالم الغيب فهي لا تدل على ان الحجر الاسود يملك لأحد من الناس ضرا أو نفعاً هو مختار فيه ، ولا يطلب أحد من المسلمين منه الشهادة بالسنتهم فيقال ان طلبه عبادة ، وشهادة أعضاء الانسان عليه يوم القيامة اصح من شهادة الحجر وليست معبودة بهذا المعنى.

بقي ان يقال اذا كان هذا الحجر لا يضر كما قال عمر في الموسم تعليماً للناس وأقره جميع الصحابة عليه ، وكان استلامه وتقبيله لمحض الطاعة والاتباع لرسول الله ﷺ كما يتبع في سائر العبادات ، فما هي حكمة جعل ما ذكر من العبادة ؟ وهل يصح ما قيل من ان النبي ﷺ تركه في الكعبة مع أنه من آثار الشرك تأليفاً للمشركين واستمالة لهم الى التوحيد ؟ والجواب ان الحجر ليس من آثار الشرك من وضع المشركين ، وانما هو من وضع امام الموحدين ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم ، جعله في بيت الله ليكون مبدءاً للطواف بالكعبة يعرف بمجرد النظر اليها ، فيكون الطواف بنظام لا يضطرب فيه الطائفون . وهذا صار من شعائر الله يكرم ويقبل ويحترم لذلك ، كما تحترم الكعبة لجمالها بيتا لله تعالى وإن كانت مبنية بالحجارة ، فالعبرة بروح العبادة النية والقصد ، وبصورتها الامثال لأمر الشارع واتباع ماورد بلا زيادة ولا نقصان، ولهذا لا تقبل جميع أركان الكعبة عند جمهور السلف ، وإن قال به بتقبيل المصحف وغيره من الشعائر الشريفة بعض من يرى القياس في الامور التعبدية . وتعظيم الشعائر والاثار الدينية والدنيوية بغير قصد العبادة معروف في جميع الأمم لا يستنكره الموحدون ولا المشركون ولا المعطلون ، واشد الناس عناية به الا فرنج فقد بنوا لآثار عظماء الملوك والفاخرين والعلماء العاملين الهياكل العظيمة ونصبوا لهم التماثيل

الجميلة ، وهم لا يعبدون شيئاً منها ، فلماذا تهتم بكل ما يلغظ به كل قسيس او سياسي يريد تنفير المسلمين من دينهم اذا موة علينا في شأن تعظيم الحجر الاسود فزعم أنه من آثار الوثنية ، ونحن نعلم أنه أقدم أثر تاريخي ديني لأقدم أمام موحد داع الى الله من النبيين المرسلين الذي عرف شي . صحيح من تاريخهم وهو ابراهيم عليه الصلاة والسلام الذي جمع على تعظيمه مع المسلمين اليهود والنصارى ؟

وبقي من حكمة استلام الحجر وتقبيله ما اعتمده الصوفية فيها أخذاً مما ورد في بعض الأحاديث الضعيفة كحديث علي السابق ، وحديث ابن عباس « الحجر الاسود بين الله في أرضه » رواه الطبراني وهو أنه رمز لمبايعة الله تعالى ، فكأن الحجر بين الله تعالى ، ومستلمه مبايع له على توحيدهِ والاخلاص له واتباع دينه الحق ، والاعمال الرمزية معروفة في جميع الاديان الالهية ، وقال المهلب : حديث عمر يرد على من قال ان الحجر بين الله في الارض يصفح بها عباده . ومعاذ الله ان تكون لله جارحة ، وانما شرع تقبيله اختياراً ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع ، وذلك شبيه بقصة ابليس حيث أمر بالسجود لآدم . اه . وليس مراد من قال إنه بين الله ان الله جارحة ، وانما اراد ما ذكرنا ، والعمدة في رد هذا القول عدم صحة الحديث فيه ، فان صح وجب قبوله ومعناه ظاهر . قال الخطابي : معنى كونه بين الله في الارض ان من صافحه في الارض كان له عهد ، وجرت العادة بان العهد يعقده الملك بالمصافحة لمن يريد موالاته والاختصاص به فخطابهم بما يعهدونه . وقال الحب الطبري : ان كل ملك اذا قدم عليه الوافد قبل يمينه ، فلما كان الحاج أول ما يقدم سن له تقبيله نزل منزلة بين الملك ، والله المثل الاعلى اه .

ولعمري لو ان ملوك الافرنج وعلماؤهم أمكنهم ان يشتروا هذا الحجر العظيم لتغالوا في ثمنه تعالياً لا يتغالون مثله في شيء آخر في الارض ، ولوضعوه في أشرف مكان من هياكل التحف والآثار القديمة ، ولحج وفودهم الى رؤيته ،

وتنمى الملايين منهم لو تيسر لهم لمسه واستلامه . وناهيك بمن يعلم منهم تاريخه
وكونه من وضع ابراهيم أبي الانبياء عليهم السلام ، وإنهم ليتغالون فيما لا شأن
له من آثار الملوك والصناع .

هذا وان من مقاصد الحج النافعة تذكر نشأة الاسلام دين التوحيد والفقرة
في أقدم معابده ، وأحياء شعائر ابراهيم التي طمستها وشوهتها الجاهلية بوثنيتها
فطهرها الله ببعثه ولده محمد الذي استجاب الله به دعوته « ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » عليهم
الصلاة والسلام . روى أحمد وأصحاب السنن والحاكم عن يزيد بن شيبان قال :
أنا ابن مريع (كمنبر واسمه يزيد) الانصاري ونحن بعرفة - في مكان يباعده
عمرو عن الامام (هذه الجملة مدرجة في الحديث ادرجها راويه عمرو بن دينار
ومعناها انهم في مكان بعيد عن موقف الإمام بحيث لا يسمعون كلامه . فقوله
يباعده عمرو يعني يذكر عمرو بن عبدالله بن صفوان التابعي أنه بعيد عن
الإمام الأعظم عليه السلام أي فلذلك أرسل إليهم رسولا ^(١) - فقال : اما إني رسول
رسول الله صلى الله عليه وآله اليكم يقول لكم : « قفوا على مشاعركم فانكم على ارث من
أبيكم ابراهيم » هذا سياق أبي داود وقد سكت عليه . وقال الترمذي : حديث
ابن مريع الانصاري حديث حسن لا نعرفه الا من حديث ابن عينة عن عمرو
ابن دينار .

وجملة القول ان مناسك الحج من شريعة ابراهيم وقد أبطل الاسلام كل ما
ابتدعته الجاهلية فيها من بوثنيتها وقبيح عملها كطوافهم بالبيت عراة ، وإن
الكعبة من بناء ابراهيم واسماعيل عليها السلام كما هو ثابت عند العرب بالاجماع
المتواتر بينهم ، وكانوا يعظمونها والامم المجاورة لهم بل والبعيدة عنهم كالهنود .
ومن الثابت أيضاً أنهم لما جددوا بناءها أبقوا الركنين اليانين على قواعد

(١) المنارج ١٦ (١٩١٣) ص ١٩١٣ ص ٦٨٠ . الحاشية

ابراهيم وانما اقتصروا من جهة الركنين الشاميين ، ولذلك ورد استلام الركنين
اليانين تعليباً كما يقولون في تثنية الركن الشامي والركن العراقي الشاميين . ولما
كانت الكعبة قد جدد بناؤها قبل الاسلام وبعده لم يبق فيها حجر يعلم باليقين
انه من وضع ابراهيم الا الحجر الاسود لامتيازه بلونه ويكونه مبدأ المطاف ،
كان هو الاثر الخاص المذكور بنشأة الاسلام الاولى في ضمن الكعبة المذكورة بذلك
بوضعها وموضعها وسائر خصائصها ، زادها الله حفظاً وشرفاً . وقد علم بهذا
ان الحجر له مزية تاريخية دينية ، وان كان الاصل في وضعه بلون مخالف للون
البناء اهداء الناس بسهولة الى جعله مبدأ للطواف . ولنا مع علمنا بهذا ان
نقول ان الله تعالى ان يخصص ما شاء من الاجسام والامكنة والازمنة لروابط
العادة والشعائر ، فلا فرق بين تخصيص الحجر الاسود بما خصه به وبين
تخصيص البيت الحرام والمشعر والحرام وشهر رمضان والاشهر الحرم ، ومبنى
العبادات على الاتباع لاعلى الرأي .

٤٧٦

حكمة رمي الجمار^(١)

ج ٢ - اذا وعيت ما تقدم كان نورا بين يديك تبصر به حكم سائر مناسك
الحج أعني أنها مما تعبدنا الله تعالى لتغذية إيماننا بالطاعة والامتثال ، سواء عرفنا
سبب كل عمل منها وحكمته أم لا ، وانها احياء لدين ابراهيم أبي الانبياء أمام
الموحدين المخلصين ، وتذكير بنشأة الاسلام ومعاهده الاولى ، وان لاستحضار
ذلك لتأثيراً عظيماً في تغذية الايمان وتقوية الشعور به ، والثقة بان الله دين الله
الخالص الذي لا يقبل غيره ، فان جهلنا سبب شرع بعض تلك الاعمال أو
حكمتها لا يضرنا ذلك ولا يثنيها عن اقامتها ، كما اذا ثبت لنا نفع دواء من
الادوية مركب من عدة أجزاء وجهلنا سبب كون بعضها أكثر من بعض ، فان

(١) التارج ١٦ (١٩١٣) ص ٦٨١ - ٦٨٣ .

ذلك لا يثنينا عن استعمال ذلك الدواء والانتفاع به ، ولا يدعونا الى التوقف وترك استعماله الى ان نتعلم الطب ونعرف حكمة اوزان تلك الاجزاء ومقاديرها .

أبسط ما يتبادر الى الذهن من منشا هذه العبادة ان هذه المواضع التي تسمى الجمرات كانت من معاهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، فشرع لنا ان نقف عند كل واحدة منها تكبير الله سبع تكبيرات ، نرمي عند كل تكبيرة حصى صغيرة بين أصابعنا نعد بها التكبير ، والعدد بالحصى - ومثله النوى في مثل الحجاز - من الامور المهودة عند الذين يعيشون عيشة السذاجة ، فنجمع بهذا الذكر بهذه الكيفية بين إحياء سنة ابراهيم الذي اقام الدين الحق في هذه المعاهد وبين التمسك بالله تعالى بكيفية لا حظ للنفس ولا محل للهوى فيها . والعبادة منها شعائر يجمع لها الناس وتقصد الامة بعملها إظهار الدين والاجتماع والتآلف على عبادة الله تعالى ، وكل أعمال الحج من هذا القبيل ، ومنها ما يقصد به تربية كل فرد نفسه وتزكيتها فقط كالتجهد وذكر الله في الخلوة ، فلا يقال ان الذكر والتكبير لا يختص بذلك الزمان والمكان ، لان هذا القول لا يصح الا في غير الشعائر ، اذ الشعائر لا بد فيها من التخصيص والتوقيت لأجل جمع الناس عليها بنظام كالأذان وصلاة الجماعة والجمعة والعيدين .

أما كون رمي الجمار شرع لذكر الله تعالى فسيأتي حديث عائشة المصريح به جواب السؤال التالي ، وأما سبب وقوف إبراهيم في تلك المعاهد لذكر الله وتكبيره وعده بالحصى فلا يضرنا جهله ، ويكفي ان نقندي به في هذه الشعيرة كشميرة الطواف وغيرها من المناسك . وورد في بعض الاحاديث الضعيفة السند ان ابليس عرض له هنالك أي يوسوس له ويشغله عن اداء المناسك فكان يرميه كل مرة فيخنس ثم يعود . روى الطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عباس « لما أتى خليل الله المناسك عرض له الشيطان عند جمره العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الارض » ثم ذكر الجمره الثالثة كذلك .

وروي عن محمد بن اسحق قال: « لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بناء البيت الحرام جاء جبريل عليه السلام فقال له: طف به سبعا ، ثم ساق الحديث ، وفيه انه لما دخل منى وهبط من العقبة تمثل له ابليس عند جرة العقبة فقال له جبريل: كبر وارمه سبع حصيات ، (فرماه) فغاب عنه ، ثم برز له عند الجرة الوسطى فقال له جبريل: كبر وارمه ، فرماه ابراهيم سبع حصيات ، ثم برز له عند الجرة السفلى فقال له جبريل كبر وارمه ، فرماه سبع حصيات مثل حصي الخذف ، فغاب عنه ابليس ، ثم مضى ابراهيم في حجه - الحديث . وليس تمثل الشيطان للانبياء ولا ظهوره لهم بغريب في قصصهم ، ففي الانجيل المعتمد عند النصارى انه ظهر للمسيح عليه السلام وجربه تجارب طويلة . فاذا صح ان ابليس عرض لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في أثناء أداء مناسكه بظهور ذاته او مثاله او بمجرد التصدي للوسوسة والشغل عن ذكر الله تعالى فلا غرابة في قذفه ورجمه كما يطرد الكلب ، فمن المعروف في الأخلاق والطباع أن يأتي الانسان بعمل عضوي يظهر به كراهته لما يعرض له حتى من الخواطر القبيحة ودفعه عنه وبرائه منه ، فأخذ الحصيات ورمىها مع تكبير الله تعالى من هذا القبيل ، وإن حركة اليد المشيرة الى البعد لتفديد في دفع الخواطر الشاغلة للقلب ... والرجم بالحجارة بقصد الدلالة على السخط والتبري او الاهانة معهود من الناس ، وله شواهد عند الامم: كرجم بني اسرائيل مع يشوع النبي (يوشع عليه السلام) لعجان ابن زراح واهله وماله من ناطق وصامت كما في ٧ : ٢٤ و ٢٥ من سفر يشوع ، و كرجم النصارى لشجرة التين التي لعنها المسيح ، ورجم العرب في الجاهلية لقبر ابي رغال في المعمس بين مكة والطائف لأنه كان يقود جيش أبرهة الحبشي الى مكة لاجل هدم الكعبة حرسها الله تعالى . والعمدة في رمي الجمار ما تقدم من قصد التبعيد لله تعالى وحده بما لاحظ للنفس فيه اتباعاً لابراهيم اقدم رسل الله الذين بقيت آثارهم في الارض ، ومحمد خاتم رسل الله مكمل دينه ومتممه الذي حفظ دينه كله في الأرض ، صلى الله عليهم أجمعين .

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في بيان أسرار الحج من الأحياء^(١) :
وأما رمي الجمار فليقصد^(٢) به الانقياد للامر اظهاراً للرق والعبودية . وانتماضاً
لمجرد الامتثال ، من غير حظ للعقل والنفس في ذلك . ثم ليقصد^(٣) به التشبه
بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنه الله تعالى في ذلك الموضع ليدخل
على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية ، فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طرداً
له وقطعاً لأمله . فان خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه ،
وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان ، فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان ، وأنه
الذي ألقاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ، ويخيل اليك انه فعل لا فائدة فيه ،
وانه يضاهي اللعب فلم تشتغل به ؟ فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي
فبذلك ترغم أنف الشيطان^(٤) . وأعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى الى العقبة
وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره ، اذ لا يحصل ابرغام أنفه
الا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيماً له بمجرد الامر ، من غير حظ للنفس
والعقل فيه ، ، ٥١ .

٤٧٧

حكمة الرمل في الطواف والسعي بين الصفا والمروة^(٤)

ج ٣ - الطواف بالكعبة المعظمة والسعي بين الصفا والمروة من مناسك
الحج وشعائر الاسلام ، من عهد إبراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وروى أن
هاجر رضي الله تعالى عنها كانت تسعى بينها والهة حيرى عند حاجتها الى الماء
زمن ولادتها اسماعيل ، حتى هداها الله تعالى الى بشر زمزم . والعمدة في هذه

(١) ابو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، القاهرة ، المكتبة التجارية ج ١ ص ٢٧١

(٢) وردت في الأحياء « فاقصد » ، و « اقصد » .

(٣) وردت في الأحياء « في الرمي فيه برغم انف الشيطان » .

(٤) المنارج ١٦ (١٩١٣) ص ٦٨٣ - ٦٨٥ .

العبادة ما ذكرناه في الكلام على رمي الجمار من اقامة ذكر الله تعالى في هذه المعاهد التي هي أقدم معاهد التوحيد المعروفة في الأرض ، وإحياء سنن المرسلين فيها، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «انما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لاقامة ذكر الله» رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح من حديث عائشة . واذكاره معروفة في المناسك . وأما الرمل فيه فهو سنة نبينا ﷺ خاصة، ومعناه سرعة في المشي مع تقارب الخطوات من غير عدو ولا وثب ، ويسمى الحجب أيضاً ، فهو دون العدو ، وفوق المشي المعتاد، فان زادت السرعة كان عدواً .

أما سبب الرمل في الطواف والسعي بهمة ونشاط بين الصفا والمروة فهو كما يؤخذ من عدة أحاديث إظهار قوة المسلمين للمشركين ، وكان قد علم النبي ﷺ ان المشركين قالوا عام الحديبية في المؤمنين: قد أوهنتهم حمى يثرب ، وروي في الصحيح أيضاً أن النبي ﷺ لما قدم مكة لعمره القضاء قال المشركون إن محمداً وأصحابه لا يستطيعون ان يطوفوا بالبيت من الهزال . لذلك أمر ﷺ أصحابه أن يرملوا في ثلاث طوفات ، ويمشوا في أربع من الأشواط السبعة من طواف القدوم فقط . وكان خطر لعمر بن الخطاب أن يتركه لأن النبي ﷺ فعله لسبب عارض، ثم بدا له فمضى عليه ، لأنه علم أن المحافظة على ما فعله النبي ﷺ ولم ينه عنه كالمحافظة على ما كان فعله جده ابراهيم ﷺ ان لم تكن أولى ، روى أبو داود وابن ماجه عنه انه قال : « فيم الرملان اليوم والكشف عن المناكب، وقد أطأ الله الاسلام (أي وطأه وأحكه) ونفى الكفر وأهله ؟ مع ذلك لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ . وأصله في البخاري بلفظ « فمالنا والرمل انما كنا رأينا به المشركين وقد أهلكهم الله . ثم قال : هو شيء صنعه رسول الله ﷺ فلا تحب ان تتركه » وقوله « رأينا » مشاركة من الرؤية أي أريناهم قوتنا وأننا لا نعجز عن مقاومتهم . وقيل هو من الرياء بمعنى اراءه ما هو غير الواقع أي أريناهم من الضعف قوه . والرياء مذموم لانه

خداع والخداع حائز في الحرب وهذا من قبيل الحرب . وقوله في الرواية الاولى « والكشف عن المناكب » معناه الاضطباع : وهو أن يؤخذ الرداء من تحت إبط اليد اليمنى فيلقى على كتف اليسرى فتظهر المناكب ، وحكمته عين حكمة الرمل ، وقيل انما هو لاجل التمكّن منه . وقد ورد في الصحيح أن المشركين قالوا عند ما رأوا النبي ﷺ وأصحابه يرملون مضطبعين : هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى قد وهنتهم أجلد من كذا وكذا . وفي رواية أجلد منا .

فعلم من هذا ان الرمل أو الهرولة كما قال السائل انما شرعت في الطواف لسبب ، واننا نحافظ عليه لتمثيل حال سلفنا الصالحين رسول الله ﷺ وأصحابه (رض) اتباعاً وتذكراً لنشأة الاسلام الاولى في عهدهم ، وهل توجد أمة من الأمم غيرنا تعرف من نشأة دينها هذه الدقائق بيقين ؟ لا لا ، فالحمد لله رب العالمين .

٤٧٨

حكمة ذبائح النسك . ودفن لحومها في منى^(١)

ج ٤ - حكمة ذبائح الهدى والاضاحي معروفة لا يحفلها عامة المسلمين ، وهي طاعة الله تعالى وتقواه واظهار نعمته بتوسعة المسلمين على أنفسهم الفقراء والمساكين في أيام العيد التي هي أيام ضيافة الله للمؤمنين ، وهي من مناسك الحج ، لانها إحياء لسنة ابراهيم وتذكر لنعمة الله عليه وعلى الناس بفداء ولده اسماعيل من الذبح الذي ابتلاه الله واختبره به ، لتظهر قوة إيمانه بالله تعالى وإيثاره لرضاه . ونعمة الله بذلك على الناس كافة انما هي من حيث ان اسماعيل هو جد محمد ﷺ الذي ارسله الله تعالى خاتماً لرسله وهادياً للناس كافة .

(١) النارج ١٦ (١٩١٣) ص ٦٨٥ - ٦٨٦ .

قال تعالى في البدن التي تتحر للنسك في الحج : « فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا البائس الفقير (١) » وقال في ذبائح النسك عامة « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم، (٢) الآية. وأما دفن لحومها في هذه الأزمنة - التي كثرت فيها الحجاج وقلت معرفتهم ومعرفة حكامهم بأحكام الدين وحكمه - فليس من الدين في شيء، وإنما هو من الجهل بأمر الدين والدنيا. ولو كان للحجاز حكومة عاقلة رشيدة لعرفت كيف تحفظ ما زاد عن حاجة الناس من تلك اللحوم يجعل بعضها قديداً ، وبعضها مقلباً من النوع الذي يقال له (قاورمه) ولأفاضت منها على فقراء الحرم طول سنتهم . وها نحن أولاء نرى الامم العاملة التي تعرف كيف تستفيد من جميع نعم الله تعالى تنقل اللحم الفريض والسمنك الطري من قطر الى قطر ، حتى ان الغنم تذبح في استرالية ويباع لحمها في مصر من شمالي أفريقية وفي شمال أوروبا أيضاً ، ونحن قد جعلنا حسنات ديننا سيئات بسوء تصرفنا ، فصرنا حجة عليه في نظر الأمم كلها وهو حجة علينا عند الله تعالى . واذا جاز ان تترك هذه الذبائح وينفق ثمنها فيما ذكر السائل فمن يضمن ان يقوم الناس بذلك ؟ كلا إن هذا شعار لا يقوم غيره مقامه ، ولو كان للمسلمين من الاهتمام بعمران الحرمين وخدمة الحجاج ما أشار السائل اليه لما توقف قيامهم به على تركهم لهذا النوع من النسك .

فان كان في الأنعام التي تذبح هنالك ما يضر لحمه الآكلين ، وعرف ذلك بشهادة الاطباء والعارفين ، فالواجب على الحكومة ان تمنع دخول هذا النوع الضار حتى لا يسوق الناس الى الحرم من الغنم إلا كل صحيح لا يخشى منه ضرر .

(١) سورة الحج رقم ٢٢ الآية ٣٦ .

(٢) سورة الحج رقم ٢٢ الآية ٣٧ .

العلمان وحكمة حدود عرفة^(١)

ج ٥ - إذا كان من أركان الحج الوقوف بعرفة وجب ان يكون لعرفة حدود معينة ، وإلا بطل معنى فرضية الوقوف فيها ، وهكذا كل عبادة اعتبر في فرضيتها مكان أو زمان كالطواف والسعي بين الصفا والمروة وصيام رمضان وكون الصيام من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، لا تحصل العبادة لمن خرج عن الحد المكاني أو الزماني . وأما مسألة القبول فهي شيء آخر : ما كل من أتى بأعمال العبادة الظاهرة نجزم بأن عمله مقبول عند الله تعالى ، إذ يجوز أن يكون مرانياً بعمله غير مخلص فيه ، وإنما يتقبل الله من المتقين المخلصين ، ولكن المخلص إذا لم يأت بالعمل الذي فرضه الله تعالى كما فرضه تعالى بمحدوده من زمان ومكان ، فلا مجال للقول بأن عمله مقبول لأن العمل لم يوجد ، فمن سعى إلى الحج ولم يدرك الوقوف بعرفة وراء العلمين الذين هما أول حد عرفة لم يدرك الحج حتى يبحث في قبول حجه وعدم قبوله ، ومثله مثل من سعى إلى صلاة الجمعة ولم يدرك ركعة منها مع الإمام لا يقال إن جمعه مقبولة أو غير مقبولة لأنه لا جمعة له ، وإن سعى إليها من أول النهار مخلصاً لله في ذلك ، ولكن الله لا يضيع أجر من سعى إلى الحج أو الجمعة أو غيرها من العبادات مع الإخلاص فيثيبه على ذلك وإن لم يسقط عنه الفرض ، وكان لا بد في الجمعة من صلاة الظهر وفي الحج من أدائه تماماً في ميقاته . وقد علم مما ذكرنا ان العلمين حدد لعرفة لا حد بين الله والناس ، ولا بين الجنة والنار .

(١) التارخ ١٦ (١٩١٣) ص ٦٨٦ .

ترك بعض العلماء لفريضة الحج^(١)

ج ٦ - الحج فرض على من استطاع إليه سبيلاً وهو على التراخي لا الفور إذا وجد العذر ، والخلاف في المسألة مشهور . ولم يحج رسول الله ﷺ إلا في آخر سنة من عمره ولكنه اعتمر قبيل ذلك . ومن ترك الحج وهو يستطيع السبيل إليه حتى مات ، مات عاصياً لله تعالى . ولا يقتدى به ولا يعد تركه إياه عذراً لغيره . والسائل يقول : إنه يرى كثيراً من علماء الأمة ومرشديها المصلحين لم يحجوا ، وأن لا أعرف أحداً من العلماء المصلحين ولا غيرهم من الجامدين الراضين بحال المسلمين السنة ترك الحج بغير عذر حتى مات . وقد ذكر السائل منهم الأستاذ الإمام والسيد الكواكبي رحمهما الله تعالى وذكرني معها . فأما الكواكبي فهو من علماء الاجتماع والسياسة لا من علماء الدين ، وإن كان له مشاركة ما في الفقه ونحوه لا تتكرر . ولا أدري أحج أم لا ، وأنا ما عرفته إلا في مصر ولم يكن ذا سعة فيها ، نعم انه ساح بعد هجرته الى مصر في جزيرة العرب ثم عاد إليها ، ولكن بمساعدة من بعض الناس ، ومن لا يستطيع الحج إلا بمال غيره لا يجب عليه الحج ، ولا أن يقبل تبرع غيره له بنفقته إن هو تبرع .

وأما الأستاذ الإمام فأنا أعلم انه كان عازماً على الحج ، وقد سمعت ذلك من لسانه وانه يريد أن يقيم في المدينة المنورة وما جاورها طائفة من الزمن ويبحث عن مواضع غزوات النبي ﷺ بحثاً يستعين به على ما كان ينويه من الكتابة في تاريخ الإسلام ، وتحرير سيرته عليه الصلاة والسلام ، وقد بينت عذره وعذري وسبب تأخيرنا للحج من قبل ، فمن ذلك قولي في تفسير قوله تعالى : « ومن دخله كان آمناً »^(٢) من جزء التفسير الرابع ما نصه : إن كثيراً من أمراء المسلمين

(١) التاراج ١٦ (١٩١٣) ص ٦٨٦ - ٦٨٨ .

(٢) سورة آل عمران رقم ٣ الآية ٩٧ .

ونابغهم يعلمون ان دون أديانهم لفريضة الحج عقبات سياسية لا يسهل اقتحامها، وقد جاء في صحف الأخبار أن أمير مصر استأذن السلطان في حج والدته وبعض أمراء أسرته فلم يأذن . وقد كان الأستاذ الإمام يعتقد اعتقاداً جازماً فيه أنه إذا حج بلقي بيديه الى التهلكة ، وانه لا أمان له في الحرم الذي كان يرى الجاهلي فيه قاتل أبيه فلا يعرض له بسوء . وإن كاتب هذه السطور يمتقد مثل هذا الاعتقاد . فنسأل الله تعالى أن يحقق لنا ثانية مضمون قوله تعالى : « ومن دخه كان آمناً »^(١) لتمثل ما فرضه علينا من حج هذا البيت « الخ .

وأقول الآن قد ظهرت صحة اعتقاد الأستاذ واعتقادنا هذا في مرض موته حين قبضت الحكومة الحميدية العثمانية في بيروت على الحاج محيي الدين حماده عند عودته من مصر لأنه كان ضيفاً له ، وكانت بنت أخيه زوجاً له ، وأخذت أوراقه وحبسته على وجاهته وحسن سيرته . وبعده عن السياسة ومذاهبها ، ثم علما ان الحكومة كانت ترسل العسكر بعد ذلك ليلاً لمراقبة سواحل بيروت وما يجاورها ، لأنه بلغها ان الأستاذ يريد النزول فيها ! وكانت هذه الحكومة قبل ذلك وبعده تصادر كل كتاب يدخل المملكة العثمانية إذا وجد عليه أو فيه اسم محمد عبده أو اسم المنار ، أو مطبعة المنار ، دع اسم صاحب المنار . وتمنع أيضاً ذكر هذه الأسماء في الجرائد ، ويعلم قراء المنار في زمن عبد الحميد انه كان ممنوعاً من ممالكه ، وان والدي مات والعسكر يحيط بداره ، وكان أخي في السجن لأن المنار وجد عنده ، وكانت الحكومة تعاقب كل من تعلم انه يقرأ المنار أو يكتب صاحبه . والسبب في ذلك كله وسومة جواسيس السوء للسلطان عبد الحميد بأننا نريد اقامة خلافة قرشية عربية في الحجاز ، وكان من هؤلاء الجواسيس مصطفى باشا كامل .

خلع السلطان عبد الحميد بعد وفاة الأستاذ الإمام ، فظهر ورثته من الاتحاديين بعداء للعرب أشد خطراً علينا مما كان من عداة عبد الحميد لنا ، جنناً

(١) سورة آل عمران رقم ٣ الآية ٩٧ .

الآستانة وحاولنا أن نقنعهم بحسن نية العرب ووجوب إنصافهم فلم نستطع . ثم جعلوا صاحب هذه المجلة من أعدى أعدائهم وذبته عندهم انه يدعو الى النهضة العربية ، فكان قصد الحج في هذه المدة مما يقوي سوء ظنهم ، ولا يؤمن معه غدوهم ، وقد صادروا المنار في بريدهم ، ومنعوا دخوله لبلادهم ، كما فعل عبد الحميد لمثل السبب . وقد صار خلفاء مصطفى كامل من زعماء الحزب الوطني وكتاب جرائده جواسيس لهم كما كان زعيمهم جاسوساً لعبد الحميد ، ويتموننا بما كان يتهمنا به وفي مقدمتهم محمد بك فريد والشيخ عبد العزيز شوايش . ولكننا دخلنا مع الاتحاديين الآن في طور جديد يرجى أن تمحى فيه سعاية الجواسيس ، فقد اعترفوا بأننا نطلب حقاً وأجابونا إلى بعضه رسمياً ووعدوا بالباقي وعداً مؤكداً . فعسى أن يتم الاتفاق ، ويمحو آية الشقاق ، ويكون قد ظهر لهم حسن نيتنا وإخلاصنا نحن وسائر طلاب الإصلاح من قومنا لهذه الدولة ، وحرصنا على تعزيزها وإصلاح شأنها ، وهذا ما يظهرونه لنا الآن ، وقد بلتغونا ان منع المنار قد ارتفع . ويترتب على حسن نيتهم في العرب رضاهم بعمران الحجاز ، وعدم خوفهم من زيارة طلاب الإصلاح له في النسك وغير النسك ، وحينئذ نرجو أن يوفقنا الله في العام القابل لأداء الفريضة بفضله وكرمه .

٤٨١

ترك ملوك المسلمين وأمراءهم وأغنيائهم للحج^(١)

ج - سبق لنا في مجلدات المنار السابقة الانتقاد على سلاطين آل عثمان وملوك إيران وغيرهم من أمراء المسلمين ترك فريضة الحج ، ولكن لم يخطر في بالنا أن أحداً من المسلمين يفتدي بهؤلاء الملوك والسلاطين في ترك هذه الفريضة ، وكذلك الأغنياء المترفون لا يصح أن يكونوا قدوة في ذلك ، ولا أن يكونوا شبهة من

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٦٨٨ .

الشبهات على الحج . ومن سوء الظن القبيح أن يقول مسلم ان حج عزيز مصر الأمير عباس الثاني كان لغرض سياسي ، وأي غرض سياسي يتوقف على أدائه لمناسك الحج ؟ على ان كثيراً من الأغنياء يحجون فان كان غير الأغنياء أكثر حجاً فذلك لأنهم في أنفسهم أكثر عدداً ، وأقل فسقاً وترفاً . هذا ما نراه كافيًا في جواب هذه الأسئلة فعسى أن يراه السائل كذلك ، والله الموفق .

وجود الله ووحدانيته والقضاء والقدر^(١)

من صاحب الإمضاء الشهير بفاقوس أحمد محمد الألفي خدام العلم الشريف .

حضرة الأستاذ الحكيم السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الأفخم .

تحية وسلاماً وأشواقاً ، (وبعد) فأرجو أن تجيبوا بالبرهان الكافي والبيان الشافي في المنار الآن على هذه الأسئلة :

١ - شاع وذاع وملاً الأسماع ان استاذاً ملحداً تلقى العلوم في مدرسة المعلمين وكمل بمدارس أوروبا وعين مدرساً بمدرسة التجارة بمصر ، أنكر وجود الخالق تعالى مستنداً على علم الطبيعة الذي يبحث فيه عن أشياء الكون وظواهر الموجودات قائلاً أمام الطلبة : الاعتقاد بوجود الإله من الأوهام التي لم يبق عليها دليل علمي ولا برهان حسي .

٢ - مما ألقاه هذا الأستاذ الملحد من الشبه على عقيدة القضاء والقدر أمام الطلبة ان الإنسان أثناء ملابسة الشرور ، اما أن يكون في سلطة القضاء والقدر أو لا ، فإن قيل بالإيجاب امتنعت عنه المسؤولية وصار غير مستحق للجزاء لا شرعاً ولا قانوناً ، وان قيل بالسلب بطل القضاء والقدر . أما القول بأنه مجبور باطناً مختار ظاهراً فهو من السفطائيات التي لا يرضاها العلم والفلسفة .

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٧٤١ - ٧٤٢ .

٣ - سأل سائل المقتطف^(١) كيف اعتقد بعض فلاسفة اليونان تعدد الآلهة مع قيام البرهان العقلي على التوحيد الخالص؟ فأجاب المقتطف ان البرهان العقلي لا ينفي التوحيد ولا يثبت ، وإنما ثبت التوحيد بالإلهام . فأعاد السائل السؤال فأعاد المقتطف الجواب بما لا يخرج عن معنى ما تقدم . هذا وأرجو أن يكون الجواب بالأدلة العقلية والعلمية والفلسفية والتاريخية على الطريقة العصرية ولكم من الله الأجر ومن الأمة الشكر ودمتم لصديقكم المخلص .

٤٨٢

الأدلة العلمية على وجود الله تعالى^(٢)

ج ١ - إذا صح ما نقل عن ذلك المدرس بمدرسة التجارة ، فهو جاهل مفرور لا يعرف العلم الالهي ولا العلم الطبيعي ، فلم يقل علم ولا عاقل مؤمن ولا ملحد ان العلم الطبيعي ينفي وجود الخالق ، وكل ما زعمه بعض من طمست بصيرتهم في ذلك ان العلم الطبيعي لا يثبت وجود الخالق ولا ينفيه ، ولكن السواد الأعظم من عقلاء البشر وعلمائهم أثبتوا وجود الخالق بالبراهين العقلية والحجج العلمية ، والمثبت مقدم على النافي لأن نفي ما عدا الحال جهل ، لأنه عبارة عن عدم العلم بالنفي . وقد صرحتم فيما نقلتموه عن ذلك الملحد الجديد بأنه استدل على عدم وجود الخالق بعدم الدليل العلمي والبرهان الحسي على وجوده ، وعدم الدليل لا يقتضي عدم المدلول ، على أن دعوى عدم الدليل باطلة ، والصواب عدم علمه هو بالدليل ، وعدم العلم بالشيء لا يقتضي عدم ذلك الشيء باتفاق العقلاء ، بل هو من البدييات . وفي كتب الكلام كثير من الأدلة العقلية على وجود الخالق ، وفي القرآن كثير من الأدلة العقلية والأدلة العلمية الكونية على ذلك . وقد كتب محرر المقتطف^(٣) مقالة عنوانها « آياته في خلقه » شرح فيها

(١) المقتطف ج ٤٢ (١٩١٣) ص ٩٣ - ٩٤ .

(٢) النار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٧٤٢ - ٧٤٣ .

(٣) المقتطف ج ٣٧ (١٩١٠) ص ١١٣٥ .

الدلائل العقلية والطبيعية على وجود الخالق تعالى نشرناها في جزء ذي الحجّة سنة ١٣٢٨ بعد مقدمة وتمهيد في الدين والاحاد والاشتراكية (١) .

٤٨٣

القضاء والقدر (٢)

ج ٢ - ما قاله ذلك الاستاذ الملحد في القضاء والقدر مبني على جهله بمعنى القضاء والقدر وظنه انه عبارة عن الجبر وسلب الاختبار ، وهو ظن باطل آثم ، وقد بينا حقيقة المسألة في المنار مراراً فلا نعيدها عند هذيان كل هاذ ، والسائل الفاضل يعرف مواضع تحرير هذه المسألة من المنار .

٤٨٤

وحدانية الخالق (٣)

ج ٣ - واما مسألة وحدانية الخالق عز وجل فهي تعلم من الدلائل على وجود الخالق لان تلك الدلائل تثبت وجود خالق واحد ، والتعدد مسألة ثانية تحتاج الى دليل آخر ، والتعدد لا نهاية له فلا بد لمثبت التعدد من دليل يرجح به العدد الذي يدعيه على غيره . وتعلم من دلائل أخرى مبنية على تلك الدلائل ، فمقالة المقتطف التي أشرنا اليها آنفاً تثبت وجود الله تعالى ووحدانيته معاً ، وما قال المقتطف ان التوحيد انما عرف بالالهام الا ذهولاً عن هذا المعنى ، وعن دلائل التوحيد الأخرى ، وسبحان المنزه عن الغفلة والذهول . وجمهور فلاسفة اليونان كانوا إلهيين موحدين واثبتوا وجود الواجب بالادلة النظرية . وهؤلاء هم الفلاسفة الالهيون ، واما الماديون فلا يشبتون إلهاً ليثبتوا توحيدهم ، وما ذكر في خرافات

(١) المنار ج ١٣ (١٩١٠) ص ٩١٣ - ٩٢١ .

(٢) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٧٤٣ .

(٣) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٧٤٣ - ٧٤٤ .

اليونان من تعداد الآلهة لايعنى به ان واجب الوجود الذي يطلقون عليه اسم «علة
العلل» - أي لكل موجود - حقيقة لها عدة أفراد ، وإنما ذلك مبني على
نظريات أخرى في نظام كل أمر كلي عام ، لا محل هنا لشرحها .

لا يتسع وقتنا الآن ولا هذا الجزء من المنار لاطالة الكلام في هذه المسألة
فنكتفي بأن نذكر السائل - وهو من أهل العلم الذين تكفيمهم الإشارة - ببعض
البراهين العقلية والطبيعية . فمنها الاستدلال بوجود الممكنات في جملتها على
وجود الواجب إذ يستحيل ان تكون قد أوجدت نفسها ، وان تكون وجدت
من العدم المحض بدون موجد ، فلم يبق إلا ان لها منشأ وجودياً آخر ليس من
جنسها ، أي ليس من الممكنات ، وهو الواجب الأزلي الذي وجوده ذاتي له .
وهو حقيقة واحدة اضطر العقل الى اثباتها مع عدم معرفة كنهها ، فلا مجال
لدعوى التعدد فيها إلا التحكم والفرض رجماً بالغيب من مكان بعيد . ومنها ان
فرض تعدد الوجود الواجب يوقع العقل في مشكلات لا يمكنه انتفصي منها إلا
بإبطال الفرض وإثبات الوحدة . فإن الواجب الذي أثبت العقل وجوده هو
مصدر وجود الممكنات في جملتها ، لأن كل ممكن منها يجوز ان يكون مصدره
ممكن آخر ، وأما جملة الممكنات في أسبابها ومسبباتها ، وعللها ومعلولاتها ،
فلا يمكن ان تكون هي مصدر نفسها ولا ان يكون جزء منها مصدر الكل ،
ولا ان تكون من العدم المحض بغير موجد كما تقدم آنفاً ، فالوجود الواجب
الذي أثبتناه هو مصدر مجموع الممكنات ، ولا معنى لذلك إلا انها صادرة
بإرادته حسب علمه وهما صفتان ذاتيتان واجبتان له . فإذا فرضنا وجود واجب
آخر يكون ذلك تناقضاً معناه ان جملة الممكنات صادرة عن كل منهما غير
صادرة عنه ، لأن القول بصدورها عن كل واحد يقتضي عدم صدورها عن الآخر
الذي هو غيره ذاتاً وعلماً وإرادة ، فإذا استطعت ان تفرض وجود واجبين او
أكثر لأن الفرض لا حجر فيه فيتناول الحال ، فانك لا تستطيع ان تثبت ذلك
ولا ان تتفصي من مشاكلكه .

ولك ان تقول من وجه آخر ان الخالق هو مصدر هذه الموجودات ومصدر التدبير والنظام فيها ، فإذا فرضنا تعدده المتنازم لاختلاف صفاته من العلم والحكمة والإرادة والقدرة - إذ لا معنى للتعدد إلا هذا - لزم من هذا الفرض ان يكون التدبير والنظام صادرين عن علمين او علوم مختلفة وإرادات متباينة وذلك يستلزم اختلاف المرادات لاختلاف المعلومات ، التابعين لاختلاف كنه الذات ، وبذلك يختل النظام وتفسد الكائنات . وهو هذا برهان التانع في قوله قوله تعالى : « لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا » (١) أي في السموات والأرض .

ومن الأدلة الكونية الطبيعية على الوجدانية ما يؤخذ من قول جواهر علماء الكون ان لمجموع الكائنات مصدر وحدة من حيث المادة والقوة ، مجهول الكنه والحقيقة .

دع ما يدل عليه النظام العام في الخلق من وحدة مصدره ، ودع ما يدل عليه العلم الطبيعي من كون العناصر البسيطة التي يتركب منها عالم المادة لا بد لها من مبدأ وحدة ، ونذكر قولهم ان الفاعل في مادة الكون الأولى الذي جعلها أطواراً انتقلت من طور منها الى طور بسنن طبيعية مطردة في منتهى الإبداع والنظام ، إنما هو شيء وجودي سموه القوة . وتذكر اعترافهم بالعجز عن معرفة كنه تلك القوة التي هي حقيقة واحدة ، وان عمل القوة بالنظام الدقيق لا يعقل إلا انه عمل عن علم وحكمة ، يفتح لك باب آخر من دلائل التوحيد والوحدة ، فإن ادعاء ان هذه القوة عرض ذاتي للمادة لا يقوم البرهان إلا على ضده لأنه يقتضي ان تكون هذه التطورات التركيبية أزلية وهي حادثة قطعاً . ثم تذكر بعد ذلك كله ما انفتح من أبواب العلم لإثبات ما وراء المادة ، فإن لم تعد منها مسألة إدراك الأرواح وظهور آثارها فلا يفتك ان منها ما يسمونه اليوم بالعقل الباطن ، وللمقتطف فيه مقالة نشرت في جزء أغسطس من هذا العام ، وهذا يحتاج كغيره الى شرح في جزء خاص .

(١) سورة الأنبياء رقم الآية ٢٢ .

صرف الزكاة للاعانة على تعليم القرآن والكتابة وغيرها من العلم النافع^(١)

من الشيخ عبد الله بن عمر مدحج ، ناظر المدرسة الابتدائية الاسلامية ببسد
الشيخ عثمان من ملحقات (عدن) ، نذكره بالمعنى مختصراً .

سبب السؤال أن السائل أسس مدرسة في بلدة الشيخ عثمان لأجل تعليم
أولاد الفقراء العاجزين عن أجره التعليم ، ولا بد لهذا من نفقة . وملخص
السؤال : هل يجوز أن يدفع أغنياء البلد شيئاً من زكاة أموالهم للاعانة على هذا
التعليم ، ويدخل ذلك في بعض الأصناف الثمانية التي تصرف لها الزكاة أم لا ؟

ج - إذا كان المدير والمعلمون في هذه المدرسة من الفقراء والمساكين فلا
خلاف في جواز دفع الزكاة لهم ، ولا يكلفون ان يتركوا التعليم لأجل كسب
آخر ، وإن قدروا عليه ، لأنهم قائمون بفرض من فرائض الدين وهو تعليم ما
يجب علمه على المسلمين أو يسن لهم ، فان كانوا لا يحسنون كسباً آخر فالأمر
أظهر . ويجوز ان يوكل مؤتي الزكاة ناظر المدرسة في صرف ما يعطيه إياه
من زكاته على مستحقيه من المعلمين أو التلاميذ القراء أو المساكين . ولكن المعلمين
ونظار المدارس لا يعدون من الاصناف التي تجب لها الزكاة لذاتهم وبوصف
المعلمين إلا على التوسع في تفسير « وفي سبيل الله » ، والمشهور عند جمهور الفقهاء
ان المراد بهذا الصنف الغزاة في سبيل الله . وزاد بعض الأئمة فيه الحج ، واختار
الاستاذ الامام ان المراد بسبيل الله كل عمل صالح من المصالح العامة يتقرب به
الى الله تعالى . وبهذا التوسع تدخل النفقة على تعليم العلوم المطلوبة شرعاً .

وجملة القول أن القائمين بأمر التعليم يعطون من مال الزكاة إذا كانوا فقراء
أو مساكين أو غارمين بغير خلاف . ومثل ذلك إعطاؤها لأولياء التلاميذ

(١) المارج ١٦ (١٩١٣) ص ٨٣٢ .

الفقراء لينفقوا منها على تعليم أولادهم ، ويجوز التوكيل في الدفع للمستحق أيضاً ، وأظن أن هذا كاف في المقصود والله أعلم .

٤٨٦

أنا عربي وليس العرب مني^(١)

من صاحب الامضاء بمصر «سائل» .

مولاي السيد الإمام منشىء المنار نفع الله به المسلمين . أما بعد ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، فإننا نلتبس كتابة جواب على سؤالنا هذا في المنار الاغر لكشف الغمة عن صحة الحديث المسؤول عنه ومعناه .

السؤال : قرأنا في جريدة المقيد البيروتية كتاب تهديد جاءها من بعض الترك يذم فيه العرب جاء فيه حديث « أنا عربي وليس العرب مني » فهل من سند صحيح لهذا الحديث بهذه الرواية أم برواية أخرى ؟ وإذا صح أفلا يكون النبي ﷺ قد تبرأ من عموم العرب وهم قومه وهو منهم ؟ وما سبب ذلك إذا صح ؟

ثم إننا نسمع بشيوع هذا الحديث في أمة الترك حتى إن كل من خدم في العسكرية « الجهادية » سمعه منهم بروايات منها « أنا عربي وليس الأعراب مني » ومنها « أنا عربي وليس أعرب مني » فأية الروايات أصح ؟ أفيدونا لا زلتم ملجأ لحل الغوامض .

ج - لا يصح شيء من ألفاظ هذا الحديث بل هو موضوع مختلق على النبي ﷺ . وأنا لم أسمع من أحد إلا من بعض أفراد عسكر بلدنا الذين حضروا حرب البلقان الأولى وحرب الروسية للدولة وغيرهم ممن أدوا الخدمة العسكرية مع أمثالهم من الترك . نقل إلينا هؤلاء ان بعض افراد الترك كانوا يحتقرونهم

(١) المنارج ١٦ (١٩١٣) ص ٨٩٩ - ٩٠٢ .

ويقولون لهم : ان الله قد ذم العرب في القرآن العظيم الشأن بقوله «الاعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله»^(١) وان النبي ﷺ قال فيهم : «أنا عربي وليس العرب مني». فمن هؤلاء من كان يتعجب من هذه الأقوال ، ولا يدري ما يقول كالأمية. ومنهم بعض الأذكياء الذين يقرأون القرآن كانوا يجيبون عن الآية بما يقابلها قوله تعالى في سورتها-التوبة «ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما يفتق قربات عند الله وصلوات الرسول»^(٢). فيهم من مجموع الآيتين ان تلك في كافري الاعراب ومنافقيهم ، وهذه في مؤمنيهم الصادقين الصالحين ، وان المدح والذم فيها ليس للجنس . ولكن لم أسمع من أحد ولا عن أحد منهم أنه أجاب بأن الاعراب هم سكان البادية خاصة والواحد أعرابي ، وان علة كون كفارهم ومنافقيهم أشد كفراً ونفاقاً من أمثالهم في الحضري هي جفوة البداوة وقسوتها وخشونتها كما هو معروف عند جميع الأمم ، وان التعرب ، أي سكنى البادية ، كان محرماً على المؤمنين بعد الهجرة لوجوب ملازمة النبي ﷺ ونصرتة .

وأما الحديث فلم يكن أحد من أولئك العوام يعلم ان بعض الناس قد كذب على الرسول ﷺ ونسب إليه أحاديث لم يروها عنه أحد من نقلة حديثه منها ما له معنى صحيح ومنها ما معناه باطل كلفظه . وهذا القسم منه ما لا يعرف بطلان معناه إلا العلماء ، ومنه ما هو بديهي يعرف بطلانه كل من شم رائحة الإسلام ، كقول أولئك السفهاء من الترك انه ﷺ قال : «أنا عربي وليس العرب مني» إذ لا معنى لهذا النفي إلا التبرؤ من قومه العرب . وليس الغريب أن يحفظ هذا بعض المتعلمين المتفرنجين الذين أفسدت السياسة عليهم دينهم ، فكان من عصبيتهم الجنسية التركية بغض العرب ، ولكن العجيب الغريب وصول هذه المفسدة الى عوامهم الذين نسمع ان أكثرهم باق على فطرته الإسلامية يحب العرب تديناً لأنهم قوم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة التوبة رقم ٩ الآية ٩٧ .

(٢) سورة التوبة رقم ٩ الآية ٩٩ .

وقد سمعت من بعض من شهد هذه المحاورات أنهم كانوا يجيبون عن الحديث بأن أصله « أنا عربي وليس أعرب مني » وأنهم رروه محرفاً. ولا أدري أهذا شيء. كان سمعه من أجاب بمثل هذا الجواب ؟ أم ظن أن أصله ما ذكر فصحة بظنه ؟

وانتي أورد هنا بعض الأحاديث الواردة في مناقب العرب إتماماً للحجة على أولئك المنافقين من الترك رثيئاً لاخراتنا المؤمنين الصادقين منهم ومن غيرهم ، فمنها قوله ﷺ « أحبوا العرب لثلاث : لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي » رواه الطبراني والحاكم والبيهقي وكذا العقيلي ، ووضع السيوطي بجانبه في الجامع الصغير علامة الصحة . ومنها « إن الله تعالى اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » رواه مسلم في صحيحه والترمذي عن وائلة . ولفظ الترمذي « إن الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشا » الخ. فهذا الحديث الصحيح يدل مع قوله تعالى « إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » (١) ان العرب بني اسماعيل هم صفوة أصفياء الله من البشر كلهم وصفوتهم قريش وصفوة قريش بنو هاشم ، فهم لب الباب ، وخاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والتسليم صفوتهم ، فهو سيد ولد آدم على الاطلاق ، فكيف يتبرأ من قومه الذين اصطفاهم الله تعالى واصطفاه منهم ؟ ومن عساه يستبدل بهم في عرف أولئك المنافقين ؟ وقد روى الحاكم هذا المعنى من حديث ابن عمر بلفظ آخر وهو : « ان الله اختار من آدم العرب واختار من العرب مضر ومن مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم ، واختارني من بني هاشم ، فأنا خيار من خيار ، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم » . وروى أيضاً من حديث أنس مرفوعاً « حب العرب إيمان وبغضهم نفاق » وسند هذا ضعيف يؤيده ويقويه سائر الأحاديث في الباب مما تقدم وما هو في معناه ، كحديث « لا

(١) سورة آل عمران رقم ٣ الآية ٣٣ .

يبغض العرب إلا منافق ، رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده عن علي كرم الله وجهه ، وحديث « لا يبغض العرب مؤمن » رواه الطبراني عن ابن عمر ، وحديث « من أحب العرب فهو حي حقاً » رواه أبو الشيخ عن ابن عباس .

فهذه الأحاديث تدل على أن هؤلاء الذين عرفوا ببغض العرب كلهم من المنافقين المبغضين لله تعالى ولرسوله ﷺ ، وقد اشتهر عن بعض أهل الجراءة منهم التصريح ببغض الإسلام ، والنيل من مقام خاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والسلام ، والظمن في الخلفاء وسائر الصحابة الكرام ، وهم يتعمدون إذلال العرب وإهانتهم انتقاماً من الإسلام ، ولا غرو ففي حديث جابر عند أبي يعلى بسند صحيح « إذا ذلت العرب ذل الإسلام ، اللهم أعز الإسلام وأعز العرب ، اللهم وأعز من أعز العرب وأذل من أذلهم إلى يوم القيامة .

٤٨٧

الموالد بدعة أم سنة^(١)

من صاحب الإمضاء في فليمنغ (سومطرة) طالب الدعا منكم السيد عقيل ابن عبد الله بن عقيل الحبشي .

من فليمنغ إلى القاهرة في ٢٥ المحرم عام ١٣٣٢ .

جناب الاستاذ مرشد الأمة ورشيدها سيدي محمد رشيد رضا أدام المولى وجوده . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد أرجو من فضلكم إجابة السؤال الآتي على صفحات المنار . ما قول سيدي في قراءة القصص المسماة بالموالد هل هي سنة أم بدعة ؟ ومن أول من فعل ذلك ؟ وأي الموالد المتداولة بين أيدينا أحرى بالقراءة وأحسن ؟ فإن كثيرين من رجال المناصب يزعمون أن مولد الديبعي هو أمثل الموالد وأفضلها ، وأن روح النبي ﷺ تحضر عند قراءته

(١) المنار ج ١٧ (١٩١٤) ص ١١١ .

خلافاً للموالد الأخرى . أرجو ان تتفضل بإزالة الأشكال والجواب على هذا السؤال ولكم الفضل أولاً وآخراً ودمتم والسلام .

ج - هذه الموالد بدعة بلا نزاع ، وأول من ابتدع الاجتماع لقراءة قصة المولد النبوي أحد ملوك الشراكسة بمصر . وقد شرحنا ما في هذه الاحتفالات التي يسمونها الموالد بمصر في مجلد السنة الأولى من المنار ثم في غيره من المجلدات . ولم نطلع على قصة من قصص المولد النبوي الشريف إلا ورأينا فيها كثيراً من الأخبار الموضوعية . حتى جمع صديقنا عالم الشام الشيخ جمال الدين القاسمي من كتب الصحاح والسنن أصح وأمثل ما ورد في ذلك وسمّاه (شذرة من السيرة النبوية) وقد طبع في مطبعتنا، وصار محبوب السنة ومبغضو البدعة يستغنون به عن تلك القصص المشحونة بالموضوعات والأكاذيب التي يؤثرها الجهال زعماً منهم انها أكثر تعظيماً للنبي ﷺ ، وقد أغناه الله تعالى بفضله العظيم عليه عن تعظيم غيره له بالكذب في سيرته . ولم نطلع على مولد الديلمي . فإن كان هو المحدث المشهور ، فالمرجو ان يكون ما كتبه خالياً من الموضوعات ، وان لم يخل من الضعاف التي يتساحون بها في ذكر المناقب .

٤٨٨

قراءة البخاري لطلب النصر في الحرب^(١)

من علي أفندي مهيب (بديوان عموم التلغرافات) بمصر (تأخر) .

حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ رشيد رضا المحترم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد قرأت في الجرائد في الأيام الأولى للحرب الحاضرة بين الدولة العلية ودول البلقان ، ان صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر كلف حضرات العلماء بقراءة البخاري أمام القبلة طلباً للنصر من

(١) المنار ج ١٧ (١٩١٤) ص ١١٢ .